وكان لا بد من ذكرها هنا بوصفها أسلوباً من أساليب التعليم القرآني للناشئة[١].

٥ ـ أسلوب التفصيل والبيان:

إن التفصيل والبيان أسلوبان مهمان من الناحية التربوية والتعليمية للناشئة، وتنبع أهميتهما من حيث أن أي توجيه أو إرشاد أو أمر سيكون مبهماً لولا البيان والتوضيح، فالأمر إن لم يكن واضحاً مفهوماً لم ينفذ وإن نفذ دون تفصيل وتوضيح فإنه لا يصل إلى الغاية المنشودة والهدف المقصود.

وكلما كان الأمر واضحاً مفصلاً، دقيقاً منظماً، كان التعامل معه مريحاً بيّناً[٢]، وهذا أدعى إلى سرعة التطبيق والتنفيذ والاستمرار في القيام به.

والتفصيل والبيان أسلوبان تضمَّنتهما كثير من الآيات الكريمة التي جاءت في تفصيل بعض الواجبات وطرق تأديتها وبيان تطبيقها، ومنها كما ذكرنا سابقاً في تعليم الوضوء وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة].

وقوله تعالى في تعليم آداب الذكر والاستعاذة: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

---

(١) انظر: ص١٩٢ من هذا البحث.

(٢) انظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم ص٤٧٨.

وقوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

وكثير من آيات الأحكام في الكتاب العزيز جاءت حافلة بالتوضيح والتفصيل والبيان، فإذا كان القرآن الكريم مثلنا الأعلى في التوجيه التربوي الناجح فلا يبخل المربي على الولد بتعيين المطلوب منه بوضوح قبل محاسبته على التقصير.

٦ ـ أسلوب القصة:

برز هذا الأسلوب الفني في كثير من المواضع في الكتاب العزيز ومن ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وقد قدمنا قبل صفحات ما فيه غنى عن إعادة ذكره من تلك القصة التي أعطتنا من خلال أحداثها دروساً في التربية والتعليم تعجز عنه الأساليب الأخرى.

ففي القصة تحصل القدوة، وتحصل العبرة، وتحصل الموعظة وكل ذلك من خلال أسلوب القصة الفني الآسر، وما قصة يوسف ببعيدة عنا وكذلك قصة إبراهيم، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وكلها قصص رائعة خالدة في ذهن المسلم والمربي يستطيع أن يستفيد من الكثير منها في تنشئة الأجيال أباً كان أو معلماً.

ذلك أن القصة من الأساليب التربوية والفكرية والنفسية المؤثرة في عقلية الناشئة ووجدانها، **وذلك لأنها**:

١ ـ تشد انتباه القارئ وتوقظه للتأمل في معانيها ومواقفها.

٢ ـ تتعامل مع النفس البشرية بصدق وواقعية.

٣ ـ تربي العواطف الدينية بإثارتها للانفعالات كالخوف والرضا والارتياح.

٤ ـ تمتاز بإقناعها للفكر عن طريق التفكير والتأمل في أحداث القصة.

٥ ـ تتسم بالتشويق والدقة في التصوير والتجسيم الحسي لشخصيات القصة[١].

وينبغي التنبيه إلى ضرورة أن تكون القصة مناسبة لمستوى الناشئة واستيعابهم وأن تكون بأسلوب ميسّر وبطريقة حكيمة تؤثر فيهم وتثمر في تربيتهم وإفادتهم.

وقد ظهر مما تقدم من الأساليب القرآنية الرشيدة أنها لوازم لا غنى عنها لمن يقوم بتربية الناشئة؛ فللمربي له أن يستخدم واحداً من هذه الأساليب أو مجموعة منها ليصل إلى مبتغاه. ولكن المربي الحكيم هو الذي يستخدم الأسلوب المناسب في الوقت المناسب وللشخص المناسب ولا ينسى المربي أنه لا بدّ من اللجوء إلى الله والتوكل عليه وأن يصحح نيته دائماً ليكون له الأجر والمثوبة ولتؤتي التربية أينع ثمراتها كما كان في التربية القرآنية العالية.

❐ ثالثاً: عناصر الآداب القرآنية في مجال اختيار القرناء:

من المعروف أن الدين هو الذي ينبغي أن يكون الشغل الشاغل للبشر لأنه السلوك والمصير، فإذا كان الرجل كما ذكر الرسول ﷺ: «**على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢]، كان لا بد أن ننظر إلى هذه المسألة بجدية حقيقية.

ذلك أن القرين والخليل والصاحب يجر قرينه وخليله وصاحبه إلى

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، النحلاوي ص٢٣٤ ـ ٢٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، في كتاب الزهد، باب الرجل على دين خليله، برقم (٢٣٧٨). قال الترمذي: حسن غريب، قال الشيخ الألباني: حسن.

مواقع الخير أو الشر حتى يكونا على فكر وسلوك واحد، ومن هنا كان لا بد من حسن انتقاء القرين والخليل والصاحب، فإن له أكبر الأثر في سلوك الناشئ(١).

لكنَّ هناك شروطاً لاختيار القرناء بها يتحقق المطلوب وتثمر الصحبة بإذن الله:

ـ شروط اختيار القرناء في القرآن الكريم:

١ ـ الدِّين:

يشترط عند اختيار القرين أن يكون صالحاً تقياً مطيعاً لله تعالى يحث على فعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، وقد جاء الإرشاد الرباني إلى الاختيار الصالح للقرين بقوله ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف].

وقال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٢).

وفي هذا الحديث النبوي التوجيه الصريح لمصاحبة الصالحين والابتعاد عن مصاحبة أهل السوء ودعاة الشر والفساد.

«والرسول ﷺ إنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته؛ لأن المطاعم توقع الألفة والمودة في القلوب»(٣).

«فإذا كان القرناء يعينون قرينهم على أداء الواجب وحفظ الحقوق

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين ص٢٠٤، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ١٩٧، ١٩٨.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث (٤٨٣٢). قال الشيخ الألباني: حسن. ورواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم الحديث (٢٣٩٥). وقال الألباني في سنن الترمذي ص٥٤٠: حديث حسن.

(٣) معالم السنن، للخطابي ٤/ ١١٥.

ويحجزونه عن السوء واقتراف الحرام فهم قرناء الخير الذين يجب أن يستمسك بهم ويحرص على مودتهم، وإلا فليحذر المرء الانخداع بمن يزينون له طريق الغواية أو يسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو»[(١)].

ومن هنا كان التأكيد على صحبة المستقيم في دينه الملتزم بتعاليمه لأن تارك الدين عدو لنفسه فكيف يرجى منه مودة غيره؛ وقد قال بعض الحكماء: اصْطَفِ من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب؛ فإنه درء لك عند حاجتك، ويدٌ عند نائبتك، وأنس عند وحشتك، وزين عند عافيتك[(٢)].

ويشترط في هذه الصحبة أن تتبرأ من الأغراض، وأن تخلص لوجه الحق، وأن تولد وتكبر في طريق الإيمان والإحسان، وهذا هو معنى الحب في الله، فالحب في الله يجد فيه المسلم الصادق حلاوة الإيمان كما قال ﷺ: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله...**»[(٣)].

«ولذلك احتفى الإسلام بمشاعر الصداقة النقية، ورغب المؤمنين في إخلاصها لله وإبقائها لوجهه، وجعل لها من جميل المثوبة ما هي له أهل»[(٤)]، «وفي السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...»[(٥)].

---

(١) خلق المسلم، للغزالي ص١٧٤.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي ص٢١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم الحديث (٦٩٤١).

(٤) خلق المسلم ص١٧٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث (٦٦٠).

وحسب المتحابين في الله، شرفاً أن رب العزة يحفل بهم في ساحة الحشر يوم القيامة فيقول: «أين المتحابّون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(١).

فما أرفعه من شرف أو ما أوفاه من جزاء يلقاه المتحابون الصادقون في الله يوم الشدة والهول والكرب الشديد(٢).

وكلا الأخوين المتحابين في حماية الله وكنفه، روى رسول الله ﷺ عن الله ﷻ قال: «**قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصافّون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي**»(٣).

أما من كانت محبته في الدنيا لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا المتقين، فإن محبتهم تدوم وتتصل بدوام من كانت المحبة لأجله»(٤).

وذلك لأن ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

وبالإضافة إلى انقلاب هذه المحبة التي قامت على مصلحة أو لغرض دنيوي ليست خالصة لوجه الله، فإن صاحبها يندم، لأنها لا تفده إلا الضلال والخسارة والشقاوة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب فضل الحب في الله تعالى، حديث رقم (٢٥٦٦).

(٢) انظر: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسُّنَّة، محمد الهاشمي ص١٣٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٨٩٤٥). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**يتناصرون من أجلي**» حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وإلى نهاية الحديث: سمعته من رسول الله ﷺ: حديث صحيح دون قوله: «**من ولد إسماعيل**» وهذا إسناد ضعيف.

(٤) تفسير السعدي ص٧٦٩.

قال تعالى واصفاً تلك الحالة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

٢ ـ العقل:

لا بد عند اختيار القرناء أن يكون من ذوي العقل فلا يتصف بالجهل ولا بالحمق لأن المرء إنما يقاس بقرينه:

«فالعقل الموفور يهدي إلى مراشد الأمور، فإن الحمق لا تثبت معه مودة، ولا تدوم لصاحبه استقامة، وقال بعض الحكماء: عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق؛ لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف عليه العاقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد، والمحدود أقل ضرراً ممّا هو غير محدود»[(١)]، ومن الجهل صحبة ذوي الجهل؛ لأن الجاهل ليست لديه القدرة على أن ينفع نفسه فكيف ينفع صاحبه ويقوده إلى الخير، «فالعقل هو الذي ينفع صاحبه ويوقفه على حقائق الأشياء وإيثار الخير والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمه»[(٢)]، فهو يقي صاحبه من أن يكون من أصحاب السعير.

وقد وصف سبحانه حال من لم ينتفع بسمعه وعقله بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك]، فإذا كان ضياع العقل سبيلاً إلى الضلال، فإن الحرص على مصاحبة العاقل واجبة. وبطبيعة الحال ليس العاقل الذي نذكره في هذا المقام هو المنافي للمجنون، ولكنه الذي يحسن استخدام عقله فيما فيه المصلحة الحقيقية.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٢٠٩، ٢١٠.
(٢) تفسير السعدي ص٨٧٦.

٣ ـ حسن الخُلق:

يعد حسن الخلق دليلاً على كمال الإيمان، فقد قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً**»(١). «فلا بد أن يكون القرين محمود الأخلاق، مرضي الأفعال، مؤثراً للخير آمراً به، كارهاً للشر ناهياً عنه، فإن مودة الشرير تكسب العداء وتفسد الأخلاق، ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة»(٢).

فمن حسُنَ خُلقه عاش سعيداً سالماً محبوباً من الناس، ومن ساء خُلقه تكدرت عيشته وبغضه الناس ونفروا منه، فكيف يصاحب؟ ومن صاحب ذا الخلق الحسن أمنَ من الندامة وكان له صاحبه معيناً ونصيراً.

وقد جمعت الآيات التالية جملة من الأخلاق الحميدة، قال ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ [الفرقان].

وجمع الإمام الغزالي(٣) بعض علامات حسن الخُلق فقال: «هو أن يكون المرء كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صادق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، بَراً وصولاً، وقوراً صبوراً، شكوراً راضياً، حليماً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص١٠٣.
(٢) أدب الدنيا والدين ص١٦٩. (٣) سبقت الترجمة له.

بشَّاشاً هشَّاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق»[١].

وقد جمع أحد العلماء حسن الخلق في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال: «يا بني إذا عَرَضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اِصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدها. إصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكتَّ ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك. اِصحب من إذا قلت صدّق قولك، وإن حاولت أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك»[٢]، وبهذه الصفات يستطيع الناشئ معرفة من حسن خلقه له.

٤ ـ ألَّا يكون حريصاً على الدنيا:

«فالحريص على الدنيا صحبته سم قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تُحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تُزهد في الدنيا»[٣]. وقد نهى الله تعالى وأمر بالإعراض عن الذي ليس همه إلا الحياة الدنيا بقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩﴾ [النجم].

فالحريص على الدنيا يعتقد بأن وجوده في الأرض هي الغاية الأولى والأخيرة لا غاية بعدها، ويعيش في هذه الحياة على هذا الاعتبار، والمؤمن بالله وبالآخرة لا يستطيع أن يقترن بمن يعرض عن ذكر الله وينفي الآخرة من حسابه؛ لأن لكل واحد منهما منهجه الخاص

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٩٣٢.
(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٦٠٥.
(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٦٠٦.

به الذي لا يمكن أن يلتقي بالآخر لا في خطوة من خطواته أو في نقطة من نقاطه، فمقياس الحياة وقيمها وأهدافها تختلف في تصور كل منهما، وبالتالي لا يمكن أن يتعاونا في الحياة ولا يشتركا في أي نشاط على هذه الأرض، وبالتالي لا تنفع صحبته ولا تتحقق منه الفائدة الحقيقية التي تنفعه في الحياة الدنيا والآخرة[١].

قال النبي ﷺ: «**يهرم ابن آدم وتَشِبُّ منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر**»[٢].

قال ابن القيم[٣]: «الاجتماع بالإخوان قسمان، **أحدهما**: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت. **والثاني**: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها»[٤].

وبناء على ما سبق يبقى أيضاً للمربين دور كبير في ترشيد الناشئة عند اختيار أصدقائهم، **وذلك عن طريق**:

١ ـ إعطائه معلومات مبسطة عن حقيقة الحياة وحقيقة المجتمع، وإفهامهم بأن في المجتمع الطيب والخبيث، وأن المسلم ينبغي عليه التقرب إلى الأخيار وصحبتهم، وقد وصفهم ﷻ في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف]، وأن يبتعد عن قرناء السوء الذين يضرُّونه ويؤذونه.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٤١٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، رقم الحديث (١٠٤٧).
وتَشِبُّ: تكبرُ معه.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) الفوائد، لابن القيم ص٩٣.

٢ ـ عدم عزل الناشئة عن القرناء والحَجُر عليهم بحجة الحفاظ على أخلاقهم وسلوكهم، وأن يسعى المربون إلى تكوين مجتمع صالح خيِّر يحيط بالناشئة، إذ يمكن للوالدين أن يصطحبا أطفالهما إلى الأسر المعروفة بالتقوى وتعريفهم بأطفال تلك الأسر، وأيضاً تشجيع الأبناء على استضافة أصدقائهم في المنزل على أن يقوم الأب بالترحيب بأصدقاء الأبناء والتحدث إليهم والتعرف على أفكارهم وتصحيح ما لديهم من أخطاء تلاحظ عليهم مع التودد إليهم وإكرامهم وتطييب خواطرهم، وكذلك تفعل الأم مع صديقات بناتها أو عن طريق الاتصال بأسر أولئك الأصدقاء والتعرف عليهم والتعاون معهم على الخير بالإضافة إلى مناقشة الأبناء في الكيفية التي يقضون بها الوقت مع أصدقائهم وفي النشاطات التي يقومون بها وعن الأماكن التي يقصدونها، وذلك بأسلوب حكيم يدفع الطفل من حيث لا يشعر إلى إعطاء الإجابة الصادقة دون خوف أو اضطراب[١].

❐ رابعاً: أساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال اختيار القرناء:

تمهيد:

إن أعظم طريق لتربية الناشئة هو حسن اختيار الأصدقاء والقرناء لهم، وهو واجب الأسرة والمربين نظراً لجهل الناشئة بخطر رفقاء السوء، فالواجب تقديم رفقاء الخير لهم وتزيين سلوكهم أمامهم، وتشجيعهم على معرفتهم، وكذلك تحذيرهم من رفقة الشر والأخذ على أيديهم خوفاً عليهم، لما في ذلك من التخريب الكامل لكل أصول التربية تلقيناً أو تعليماً أو قدوة.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٢٢٦، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم ص٣٤٧، وكيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي ص١٩.

فقرين السوء يمكن أن يدمر ما تصنعه مدرسة بكاملها، وقرين الخير يمكنه القيام بما تقوم به مدرسة بكاملها.

ومن هذه الأساليب القرآنية:

الأسلوب الأول: الترغيب والترهيب:

١ ـ الترغيب في صحبة الأخيار المتقون وبيان ما يتنعمون به من النعم والجزاء في الآخرة وبيان أحوالهم عند رب العالمين يوم القيامة **ومنها:**

١ ـ القرناء المتقين في أمن لا ينتابهم خوف ولا فزع:

قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف].

٢ ـ نزع الغلّ من قلوب القرناء المتقين:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

وقوله: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف].

فدلت هاتين الآيتين الكريمتين على سلامة قلوب المتقين من كل غلّ وحسد، متجاورين غير مستدبر بعضهم البعض، متكئين على سرر مزينة بالفرش واللؤلؤ، خالدين في جنات النعيم لا يصيبهم فيها مشقة ولا تعب[(١)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٥٢، وتفسير القرطبي ٧/ ١٨٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٠٧، وتفسير السعدي ص٤٣٢.

٣ ـ القرناء المتحابون في الله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه:

فعن أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظلُّه**، ومنهم... **رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[(٢)].

٤ ـ القرناء المتحابون في الله على منابر من نور:

فعن معاذ بن جبل[(٣)] رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **قال الله** عز وجل: **المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»[(٤)].

فهذا الحديث القدسي يبين ما للمتحابين في الله من مجد عظيم يوم القيامة إذا كان تحابهم في الدنيا ابتغاء مرضاة الله وعلى طاعته، ولم يكن تحابهم ابتغاء مطامع دنيوية ومصالح شخصية وعلى معصية الله ومخالفة أوامره ونواهيه[(٥)].

٢ ـ الترهيب عن صحبة الأشرار والقرناء المسيئون وبيان حالهم وما يؤولون إليه يوم القيامة، **ومن هذه الأحوال:**

- **التحسر على اتخاذ القرناء والأخلاء المسيئون:**

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم الحديث (٦٦٠).

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، رقم الحديث (٢٣٩٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سنن الترمذي ص٥٣٩.

(٥) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي ٦/ ٤٥٤، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٧/ ٦٥، ٦٦، والأخلاق الإسلامية وأسسها، ٢/ ٢٧٢.

ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

«فهو يعض يديه فعل النادم الحزين لأجل طاعته خليله، فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنما هو يداول بيد هذه وتلك أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين»[1] لاتخاذه صاحب السوء الذي يصد عن السبيل ويضل عن ذكر الله.

ويتمنى الظالم يوم القيامة أن يجعل أهل الضلال والغواية تحت قدميه سواء أكان من شياطين الجن أو كان من شياطين الإنس.

كما صور ذلك سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت].

«وفي هذا بيان حنق بعضهم على بعض، وتبرِّي بعضهم من بعض»[2].

- **تبرؤ القرناء المسيئين من بعضهم البعض:**

قال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

- **القرناء المسيئين يكفِّر بعضهم البعض ويلعن بعضهم بعضاً:**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٧، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٥٦٠.

(٢) تفسير السعدي ص٧٤٨.

«ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم عليه السلام عاتب قومه على اتخاذهم الأوثان والأنصاب وأنهم فعلوا ذلك اتباعاً من بعضهم لبعض وحفظاً لموداتهم ومحباتهم الدنيوية، وأنهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضاً ويتلاعنون لأن توادهم كان على غير تقوى، والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين»(١)، وقد جاء البيان القرآني موضحاً سبب التلاعن بين القرناء المسيئين في نار جهنم بقوله: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف].

الأسلوب الثاني: أسلوب القصة:

أ ـ قصة الصحبة الصالحة (أصحاب الكهف):

«تعرض قصة أصحاب الكهف نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة كيف تطمئن به وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس، وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة ويقيها الفتنة ويشملها بالرحمة»(٢)، لهؤلاء الفتية الذين اعتزلوا بدينهم وفرُّوا من فتنة الكفر وأهله، وقد عرض سبحانه وتعالى قصتهم في كتابه الكريم: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٣.

(٢) في ظلال القرآن الكريم ٤/ ٢٢٦٠، ٢٢٦١.

فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ . . .﴾ [الكهف: ٩ ـ ٢٦].

وهذه القصة تعدّ مثالاً للصحبة الخيرة التي يقتدى بها في تمسُّكها بدينها وفرارها من أجله، ومنها من العبر والفوائد ما يجعلهم قدوة صالحة يقتدى بهم **ومنها**:

١ ـ «شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين وفرارهم من كل فتنة في دينهم وتركهم أوطانهم في الله»[(١)].

٢ ـ تعاونهم على البر والتقوى وذلك باجتماع الفتية على الحق[(٢)].

٣ ـ التوكل على الله تعالى.

فحين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل هرباً بدينهم إلى الله توجهوا إلى الله بالدعاء بأن يؤتيهم رحمة من لدنه عظيمة تناسب عنايته باتباع الدين الذي أمر به، فسألوا الله أن يثبتهم ويحفظهم من الشر ويوفقهم إلى الخير، ودعوا الله تعالى أن ييسر لهم كل سبب موصل إلى الرشد، وأن يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم وان يقر لهم أحوالاً تكون عاقبتها الثبات على الدين الحق والنجاة من المشركين ومن عبادة الأوثان التي يدعو إليها قومهم. وبذلك جمعوا بين السعي والفرار من الفتنة إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله بتيسير أمورهم وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله لهم دعاءهم وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم[(٣)].

٤ ـ التواصي بالثبات على الحق: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف].

---

(١) تفسير السعدي ص٤٧٣.

(٢) الخليل والصاحب والقرين ص١٢٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٦١ـ ١٦٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣١٦، تفسير السعدي ص٤٧١، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٦٦.

٥ ـ تمسُّكهم بعقيدة التوحيد: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

ب ـ قصة قرناء السوء (قصة صاحبي الجنتين):

ضَرب الله تعالى في كتابه الكريم أمثالاً لأصحاب سيئين، منهم: «قصة الرجلين والجنتين، فضرب سبحانه مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية من خلال نموذجين واضحين، **أولهما**: للنفس المعتزة بزينة الحياة، **وثانيهما**: النفس المعتزة بالله؛ فالنموذج الأول للرجل الثري تذهله الثروة وتبطره النعمة فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة ولا تفنى فلن تخذله القوة ولا الجاه، والنموذج الثاني للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره لا لجحوده وكفره»[(١)].

وقد صوَّر سبحانه كل ذلك في كتابه الكريم عن طريق القصص القرآني: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٧٠.

عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف].

وفي هذه القصة عبر وفوائد منها:

١ ـ عاقبة من اغتر بنفسه وأعجب بماله وجاهه على الآخرين وجحد نعمة الله تعالى عليه فلم يشكر ربه على هذه النعمة، وإنما نسب وجودها لنفسه فكانت العاقبة الخسران وفقدان النعم.

فالله سبحانه أحاط النموذج الأول بالعقاب «لا لمجرد الكفر، لأن الله قد يمتع كافرين كثيرين طول حياتهم ويملي لهم ويستدرجهم، وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير، فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوصل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعمة عنه كما سلبت النعمة عن قارون»[(١)] حين قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨].

٢ ـ ما اتصف به النموذج الأول من تواضع ونصح وتذكير وزجر لصاحبه، لكفره وإنذاره بعاقبة أمره، وتحذير من الاغترار بالمال والولد. وهذه من الحقوق الواجبة بين الأصحاب والقرناء، ولكنه لم يسمع نصيحته ولم يرجع عن كفره حتى هلك ماله وفنى بستانه ولاقى الحسرة والندم لكفره بخالقه وموجده[(٢)].

ومما تقدم يتبين الأثر المترتب على اختيار قرناء الخير والصحبة الصالحة خلافاً لمن اتخذوا قرناءهم من صحبة السوء فكانوا وبالاً عليهم.

على أن هذه القصة تؤكد الخط الفاصل بين الخير والشر في مجال

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/٣٢٨.

(٢) انظر: الخليل والصاحب والقرين، أمل الغنيم، رسالة ماجستير ص١٤٦.

الأصحاب؛ فالصاحب الخيّر لا يوافق صاحبه فيما جار فيه على حق الله وحق نفسه بل نبهه وحذره إلى عاقبة الأمر. والقصة كما هو واضح تغلِّب جانب الخير والتقوى والشكر على جانب الشر والكفر والإنكار.

المبحث السابع عناصر وآداب وأساليب قرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق

❐ تمهيد:

إن الاتصاف بالأخلاق الحسنة ركن مهم من أركان البناء الخلقي عند الناشئة لما لها من أهمية كبرى في بناء شخصيته وتحرير علاقته بجوانب مختلفة في حياته، تتعلق بدينه وعقيدته، وأيضاً بما تُحدثه هذه الأخلاق من آثار على سلوك الناشئة.

وتوجيه الناشئ نحو الخير والفضيلة والأخلاق الحسنة في هذه الفترة المبكرة من عمره لها الأثر القوي في صلاحه واستقامة أخلاقه عندما يكبر.

وقد أشار الإمام الماوردي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أهمية هذه الفترة في توجيه الناشئة: «فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قَبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على شيء، تجعله متطبعاً به، ومن أُغفل في الصغر، كان تأديبه في الكبر عسيراً»[(٢)].

وتدريب الناشئة على التخلق بالأخلاق الكريمة يتطلب من الوالدين بذل الجهد والصبر في غرس الأخلاق في نفوس الناشئة واستبدال السيئ منها بالحسن.

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٢٢٨.

وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأخلاق في سورة تمثل دستوراً للأخلاق هي سورة لقمان[١]، وفي هذا المبحث نكشف بالإضافة إلى ذلك عن بعض الأخلاق التي ينبغي أن يُربى عليها الناشئة سواء في علاقتهم مع ربهم، أو مع أنفسهم، أو مع الآخرين.

وفيما يلي إشارة موجزة إلى أصول المعاملة في بعض هذه العلاقات كلها.

❐ أولاً: العناصر والآداب القرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق:

أ- أخلاق الناشئة مع الله تعالى:

يعتبر الأدب مع الله ﷻ من أوجب الواجبات؛ «إذ هو الخالق، وحده لا شريك له، وما عداه مخلوق؛ فلا يستوي حقُّ المخلوق مع حق الخالق بحال، ولا يستوي تأدُّبُ الإنسان مع الخالق ومع أيّ مخلوق! وكما أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، فكذلك يجب أن يوحِّدَه عباده بالعبادة والشكر والأدب وَفْق ما يقتضيه هذا المعنى!»[٢].

ومن الأخلاق الأساسية التي يجدر بالناشئة التخلق بها مع الله تعالى ما يلي:

١ ـ محبة الله تعالى:

لقد تحدث القرآن الكريم عن آيات حب الإنسان لله تعالى وأثنى عليه، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقد

(١) سورة لقمان، آية (١٢ ـ ٩)، راجع المبحث الأول ص١٧٥ من هذا الفصل.
(٢) الأخلاق الفاضلة، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ص٨٦.

دلت هذه الآية الكريمة على أن هذا حب متبادل ويبدأ من الله ﷻ ومحبة الله للعبد من نعم الله الجليلة على عبده تفضل الله بها عليه، ومحبة الله للعبد تيسّر له الأسباب، وتهون عليه كل أمر عسير، وتوفقه إلى فعل كل خير، وترك كل منكر، وتجعل له المحبة في قلوب عباده[1]، «وعلى المربي أن ينتهز الفرصة السانحة، ليعرّف الطفل بإلهه الحق ويربط مشاعره به، ويعلق قلبه بالتطلع إليه والخشية منه مع مراعاة أن مدارك الطفل ما تزال صغيرة وأن قدرته على الاستيعاب محدودة فيحدث بما يناسب قدرته ومداركه.

وحين يحدث الناشئ عن رضا الله وعن غضب الله، فلن يدركه إلا في صورة حسية، وقد يجسم صورة للرضا والغضب.. ومع ذلك فلا بد أن يحدث المربي الناشئ عن رضا الله وغضبه ليزرع في نفسه الفضائل التي ينبغي أن يمارسها، والسيئات التي ينبغي أن يحجم عنها..

وهناك محاذير ينبغي للمربي أن يتوقاها:

لا يجوز له أن يتكئ على خط الخوف حتى يرعب الطفل بغير موجب بكثرة الحديث عن غضب الله وعذابه والنار وبشاعتها. إنما ينبغي كما هو مقرر في المنهج الرباني في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ المزاوجة الدائمة بين الرضا والغضب، والنعيم والعذاب، وأن نبدأ بالترغيب لا الترهيب حتى يتعلق قلب الطفل بالله فهو أحوج في صغره إلى الحب.. ولا بأس بأن يصل الترهيب إلى نفس الطفل من طريق غير مباشر كأن يقال له حين يقوم بعمل خيّر: إن الله سيحبه من أجل هذا العمل ويدخله الجنة. وإنه ليس كالأولاد الآخرين الذين يعملون السيئات، والذين سيعذبهم الله في النار... وبذلك يحدث في نفسه الرهبة المطلوبة ولكنها

(١) انظر: تفسير السعدي ص٢٣٥.

لا ترتبط بشخصه مباشرة فتفزعه في سنه الصغيرة دون تحقيق هدف تربوي.

وعن طريق التعريف الدائم بالله ونمو مدارك الطفل وإشاعها، وربط القلب والمشاعر دائماً به، تستنبت الفضائل في نفس الطفل وتعمق محبته لله تعالى»[١].

٢ ـ معرفة الناشئة لنعم الله وشكره عليها:

عرَّف الأصفهاني[٢] الشكر بأنه «هو تصور النعمة وإظهارها، وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها»[٣].

ويعبر ابن القيم[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ عن حقيقة الشكر «بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً. وعلى قلبه: شهوداً ومحبة. وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة. ولا بد من خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته. وثناؤه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره»[٥]. وقد عُني القرآن المجيد بالحديث عن الشكر عناية واضحة، فذكره في مواطن كثيرة من آياته وطلب من عباد الله أن يتحلوا به ويحرصوا عليه، فقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

وقد ضرب لنا الإمام الغزالي صوراً كثيرةً للشكر فقال: «إن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والاعتذار عن قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١٦٣، ١٦٤ بتصرف.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٦٨.
(٤) سبقت الترجمة له.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٤.

شكر، . . وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر، وقلة الاعتراض وحسن الأدب شكر بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر»[(١)]. والإنسان إذا وجد من يكرمه ويحسن إليه فإنه يشعر نحوه بواجب الشكر، والاعتراف بالجميل، فإذا كان هذا حاصلاً مع الناس، فكيف برب الناس.

وإذا عرف الناشئ هذه النعم ومن أوائل هذه النعم نعمة خلقه وإيجاده والصبر على أخطائه وتقصيره، فإنه يشعر بالحياء من الله ﷻ لما يُحدثه من تقصير في حق الله تعالى مما يساعد المربي على استغلال هذا الشعور، فيبين فضل الله ونعمه على الناشئ وأنه أسبغ عليه النعم ظاهرة وباطنة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ويبيِّن ما سخَّر الله له من الطعام والشراب، والمركب والمسكن كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: ٣]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل].

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل].

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧٩، ١٤٨٠.

ويبين للناشئ ما وهبه من نعمة السمع، والبصر، والشم، والتذوق مقروناً بقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ويقرب بعد ذلك إلى ذهن الناشئ الشقاء الذي يمكن أن يحدث إذا فقد نعمة من هذه النعم مثل فقد الطعام ـ مثلاً ـ وما يحدثه من المجاعات المفزعة، أو فقدان البصر وما يترتب عليه من عناء للأعمى، فيشكر الله على نعمة البصر، أو إذا رأى مُقْعَداً فيتذكر أن الله جعله قادراً على الحركة، أو ما حاله إذا فقد والديه وكيف يمكن أن يعيش بدونهما، وغيرها من النعم التي تحيط بالناشئ ويتلذذ بوجودها[١].

ب ـ أخلاق الناشئة مع النفس:

إن صلاح الناشئة هو الطريق لصلاح المجتمعات وصلاحهم يتوقف على تهذيب نفوسهم وتحلِّيها بالأخلاق الإسلامية، واستقامتها على المنهج الرباني وتربيتها وتوجيهها، لتكون سوية صالحة في المجتمع[٢].

ومن هذه الأخلاق:

١ ـ الصدق:

من العوامل المؤثرة في تنمية الصدق عند الناشئة وتخلُّقهم به هو المحيط الأسري الذي يعيشون فيه، فالأسرة التي تحترم الحق وتلتزم بالصدق وتفي بما وعدت به من الطبعي أن يلتزم الناشئ بالصدق والأمانة.

ولذلك وجب على الوالدين الالتزام بالصدق في تعاملهم مع الناشئة في الوعد وفي الحديث وغيرهما.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم ص١٠٦.
(٢) انظر: المرجع السابق ص١٦٣.

ويتأكد مسؤولية الوالدين في تعميق الصدق والأمانة في نفس الناشئ عن طريق الترغيب في التخلق بهما بما ورد في فضلهما وجزاء من يتصف بهما، فقد امتدح الله الصادقين وبيَّن أن لهم أجراً عظيماً، فقال سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله ﷻ في الحث على التخلق بالصدق ليكون من الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة].

وكذلك قوله ﷺ في بيان ما يهدي إليه الصدق وما يهدي إليه الكذب: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدَّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١).

وجاء في السُّنَّة المطهرة أيضاً ما يحث على تعويد الطفل الصدق وحثّ الأم على فضيلة الصدق؛ لأنها قدوة أولادها في السلوك والخلق، والأفعال وأن تبتعد عن الكذب مهما كان صغيراً أو كان مجرّد الضحك على الطفل في صغائر الأمور، فعن عبد الله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**»، قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة**»(٢).

وبعض الآباء يحثون أولادهم على الصدق بالكلام ويدفعونهم إلى الكذب بالأفعال، فإذا سأل عنه من لا يحب لقاءه قال لولده: أخبره أنني غير موجود!! ثم يعاقب ولده بعد ذلك على الكذب، فالناشئ إذا وجد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾، رقم الحديث (٦٠٩٤).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، رقم الحديث (٤٩٩١). وقال الألباني: حسن في سنن أبي داود ص٧٤٧.

أمه ولو مرة واحدة تكذب على أبيه، أو أباه يكذب على أمه، أو أحدهما يكذب على الجيران، فإن هذا السلوك من الأب أو الأم يترتب عليه فقدان الناشئ لقيمة الصدق وأهميته، فالكذب خُلق مذموم ينتج عنه فساد في نفس صاحبه ويترتب عليه سلوك يؤدي إلى الشر، فينبغي على الوالدين متى ما وجداه في خُلُق الناشئ العمل على تخليصه منه، ومن الأمثلة على ذلك عندما يتظاهر الناشئ عند أقرانه بأن عنده من الألعاب الكثيرة وليس ذلك بصحيح وإنما أراد حب الظهور عند زملائه، وهذا كذب مذموم، ودور الوالدين تنبيه الابن إلى ما هو عليه من الكذب والادعاء غير الصحيح، ثم يحاول بعد ذلك أن يلفت نظره إلى ما يمتلكه من صفات حسنة ويشعره بأنه لا داعي للكذب، وإذا أراد أن يخبر زملاءه بما عنده من الألعاب وغيرها من الأمور أن يخبرهم بالحقيقة دون كذب[1].

٢ ـ التوسط في الإنفاق:

إن التوسط في الأمور من أهم ما دعا إليه القرآن الكريم؛ لأن أمة محمد ﷺ أمة وسطاً لا إفراط ولا تفريط لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ولقد أرشد القرآن الكريم إلى ضرورة الالتزام بهذا الخلق في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

«فالمحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذام من كل حقيقة لها طرفان. وقد تقرر في حكمة الأخلاق أن لكل خلق طرفين ووسطاً، فالطرفان إفراط وتفريط وكلاهما مقرّ مُفاسد للمصدر وللموت، وأن الوسط

(١) للمزيد من الأمثلة، انظر: التربية والطفل، يوسف الهلال ص٦٠، ٦١، ومسؤولية الأب المسلم ١٨٧ ـ ١٩١.

هو العدل، فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح وهو مفسدة للمحاويج ولصاحب المال إذ يجر إلى كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم»[١].

وقد ذمّ الله ﷻ الشحّ والبخل وتوعد عليه بالعذاب، فقال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، «ويمكن للوالد إشراك الناشئ في الإنفاق على بعض مشتريات البيت واحتياجاته البسيطة، فيتدرب على الإنفاق ويتعود البذل، ويحاول المربي أن يذم أمامه البخل والشح ويمقته؛ ليتكون عند الولد التصور النظري لقبح هذه العادة وأهلها ولتشجيع الناشئة على أعمال الخير والإنفاق، يمكن للمربي في بعض الأحيان عندما يجلس لأولاده ويحدثهم أن يسألهم: «من تصدق منكم اليوم على مسكين؟»، ربما في المرة الأولى لن يجيبه أحد منهم ولكن عندما يعلمون أن أباهم سوف يسألهم ثانية فإنهم عند ذلك يسارعون للإنفاق والبذل والعطاء»[٢].

وقد تبع الرسول ﷺ هذا الأسلوب مع صحابته الكرام عندما كان يسألهم: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟**»، «**من تبع منكم اليوم جنازة؟**»، «**من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**»[٣].

فيمكن للوالدين الاستفادة من هذا الأسلوب في إعداد الناشئة للتخلق بخلق الإنفاق، وهكذا في بقية أعمال الخير. ولا يقتصر تعويد المربي ولده على الإنفاق فقط على الفقراء والمحتاجين، أيضاً تتسع دائرة الإنفاق لتصل إلى التبرع للجمعيات الخيرية والإنفاق على نفسه بشراء ما

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٨٤.
(٢) مسؤولية الأب المسلم ص١٦٨، ١٦٩.
(٣) انظر: الحديث بنصه في صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر، رقم الحديث (٨٧).

يحبه من الحلوى مثلاً، كما يشمل إعطاء الإخوة والأخوات مما يملك من النقود أو الألعاب والحلوى وغيرها، فتعويد الناشئ على السخاء في هذه الأمور يهذب نفسه ويحصل له الاعتدال في التعامل مع ذاته فهو ليس بالأناني ولا بالمهمل لذاته الغافل عنها(١).

أما الطرف الآخر وهو التبذير والإسراف، ففيه العديد من المفاسد لصاحب المال وأهله، لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى مصارف وجهات لا ينبغي الصرف عليها(٢).

وإذا كانت دعوة الناشئة إلى الإنفاق ومقت البخل والشح فإن ذلك لا يدفعهم إلى التبذير، لأن الله تعالى نهى عنه في كتابه الكريم: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء].

«لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير»(٣).

وكلا الطرفين البخل والإسراف خُلُقين ذميمين، ولكن الاعتدال والتوسط هو المطلوب، وقد أدب القرآن عباده بالخلق الواجب اتباعه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

«أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا»(٤).

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم ص١٧٠.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٨٤.
(٣) تفسير السعدي ص٤٥٦.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٠.

٣ ـ العِفَّة:

العفة: «هي كفُّ النفس عن المحارم وعمَّا لا يَجْمُل بالإنسان فعله»[(١)]. والعفة التي ينبغي على الناشئ التخلُّق بها تدخل في أمور ونواحي متعددة منها:

أولاً: عفة عن النظر والتطلع إلى ما عند الغير من متع الحياة الدنيا من مختلف الأصناف.

وفي ذلك يقول الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه].

فعلى الوالدين تربية الناشئ إلى عدم النظر إلى ما عند الآخرين بطمع ورغبة بالاستيلاء، فقد يرى الناشئ من الألعاب والملابس التي تشد انتباهه ويرغب في امتلاكها، فدور الوالدين تغذيته بضرورة احترام حقوق الآخرين التي وهبهم الله إياه، وكفّ بصره عما وهب الله الناس من نعم وما فضلهم به من عطايا وهبات[(٢)].

وتربية الناشئ نفسياً على أن الله ﷻ: «فاوت بين الناس في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوئ، والمناظر والأشكال والألوان»[(٣)].

كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. فينتج عن ذلك استقرار وتربية نفسية للناشئة وقناعة ورضا بما قسم الله تعالى.

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٥٨١.
(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ٨١٧، ٨١٨.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٤.

والتعفف عما في أيدي الناس باب عظيم لجلب محبة الناس، فالزهد فيما بأيدي الناس طريقاً إلى محبتهم للإنسان ويرفع من شأنه عندهم، أما التطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس يحملهم على ازدراء العز والسخرية منه واحتقاره.

ويتخلَّق الناشئ بالعفة حتى عند احتياجاته، فيلزم التعفف منه عن سؤال غيره عند الاحتياج، لأن الله تعالى أثنى على الفقراء المتعففين عن المسألة وهم في شدة الحاجة، وإن صدر منهم السؤال إذا احتاجوا لم يلحوا على من سألوا[1]، قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فبعض الوالدين يجعلون من أبنائهم طريقاً للحصول على المال عن طريق التسول وهم في غير حاجة، فيجعلونهم يتسوَّلون في أماكن متفرقة في الطرقات وفي الأسواق، وإذا كانوا كذلك فكيف يتخلق هؤلاء بخلق العفة والبعد عن المسألة.

❐ ثانياً: العفة في القول:

وذلك بترك الناشئة للألفاظ النابية والابتعاد عن السبِّ واللعن والسخرية والاستهزاء والكذب والغيبة والنميمة، فقد قال سبحانه عن عباده الأخيار: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج].

فعلى الوالدين ترسيخ هذا الخلق القويم في سلوك الناشئ عن طريق القدوة الصحيحة المتمثلة في الوالدين والأخوة فلا يصدر منهم إلا قولاً طيباً فلا يكتب الأبناء السب واللعن إلا من الوالدين إذا صدر منهم ذلك.

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص١١٦.

وأيضاً ترغيب المربي الناشئة في اجتناب ذلك بأن الله تعالى نهى عن السخرية وعن النميمة والغيبة والتنابز بالألقاب كما جاء في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات].

وترغيبه بأن الله تعالى لا يصعد ولا يرتفع إليه إلا كل قول وكلام حسن طيب، قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

ج ـ أخلاق الناشئة مع الناس:

إن الناشئ لا يعيش منفرداً عن الآخرين وإنما يتعامل مع فئات مختلفة في المجتمع، يترتب على هذا التعامل أخلاق ينبغي أن يتحلى بها سواء مع الوالدين أو الإخوة أو الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران.

١ ـ أخلاق الناشئة مع الوالدين:

إن حب الوالدين وتقديرهما واحترامهما أمر واجب على الناشئة، وقد بيَّن ﷻ هذه الأخلاق من الإحسان إليهما وعدم التأفف أو التضجر منهما، وعدم زجرهما والتحدث معهما بقول لين طيب كريم، والتواضع لهما والدعاء بالرحمة لهما وغيرها من الأخلاق الكريمة التي جاء بيانها في آيات كريمة، قال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

وشكرهما على ما بذلاه من تعب وجهد في سبيل تربيته، قال

تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ...﴾ [الأحقاف: ١٥]، وغيرها من الأخلاق التي قد سبق الإشارة إليها في موضع سابق(١).

٢ ـ أخلاق الناشئة مع الإخوة:

عرض القرآن الكريم العديد من القصص التي تبين وتحدد العلاقة بين الإخوة وتبرز بعض من جوانب الأخلاق بينهم في قصص امتلئت عبرة وعظة يرتشف منها كل مربي في إعداد أبناء تسودهم معاني الأخوة في الله والحب فيه إلى جانب إخوة الدم، فيعلمهم التأدب مع بعضهم البعض في جو يسوده احترام الأخ الأكبر والرحمة بالأخ الأصغر والعطف عليه.

والمتأمل في قصة يوسف عليه السلام كأحد القصص القرآنية التي ألقت الضوء على هذه العلاقة، وما حصل ليوسف عليه السلام من إخوته، وما حصل منه عند اللقاء بهم بعد ذلك من خُلق العفو والصفح تجاههم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

فعندما تذكر للناشئ هذه القصة يتعرف على هذه المغفرة والعفو والرحمة، وهذا الإحسان بهؤلاء الإخوة.

وعندما نتأمل قول هابيل لأخيه عندما عزم على قتله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة]، فهذا الأخ لم يظهر لأخيه ويعدد ما امتاز به وخصه الله به حتى لا يثور حسده ويزداد غضبه، وعندما نعرض للناشئ قول هارون

(١) انظر: ص١٧٩ من هذا البحث.

لأخيه موسى عليه السلام طالباً منه ألا يشمت به الأعداء: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وغيرها من القصص التي تبين ما ينبغي أن يكون عليه الناشئ من أخلاق مع إخوته ثم بيانها والوقوف عليها في موضع سابق(١).

٣ ـ أخلاق الناشئة مع الأقارب:

إن قرابة الإنسان هم أهله وأنصاره، وعدته، بهم يأنس في حال الرخاء، وبهم يستعين في حال الشدة والبلاء، فهم ملاذه بعد الله تعالى، والناشئ يلتزم مع أقاربه وذوي رحمه بنفس الآداب التي يلتزم بها لوالديه إخوته من برّهم والإحسان إليهم(٢).

وقد أمر الله تعالى بهذا الحق في كتابه الكريم، قال عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

وإن تنمية التربية الخلقية عند الناشئة في احترام الأقارب من أفضل ما يقدمه المربي للناشئ، وخصوصاً في هذه الأيام التي غدا فيها كثير من الناشئة لا يعرفون معظم أقربائهم أو عدداً ممن تربطهم بهم صلة رحم وقرابة»(٣).

والمراد بصلة الرحم: معاملتهم بالحسنى، ومعاشرتهم بالمعروف والتواضع لهم، والتلطف معهم، والتودد إليهم، وزيارتهم ومجالستهم ومواساتهم بالمال والجاه، والخدمة لهم، وغيرها من وجوه الصلة

---

(١) راجع المبحث الخامس من هذا الفصل ص٢٥٦.
(٢) انظر: منهاج المسلم ص٨٠، وفقه التعامل مع الناس، د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان ص٢٦٣.
(٣) تربية الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص١٤٧.

والبر بهم[١].

وكما أمر الله ﷻ بالإحسان لذي القربى، فإنه حذر من أذيتهم، فقد أمرت السُّنَّة بالإحسان إليهم، وزجرت قاطع الرحم الذي يسيء للأقرباء كما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»[٢]، وقال أيضاً: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٣].

ومن هذه المعاني الوجدانية العظيمة يشغل المربي ما تعلمه من آداب تربوية وينميها في نفس الناشئ فتنمو صلة الرحم عنده وتتأصل هذه الناحية في نفسه خصوصاً عندما يكبر، وتتوثق عرى المحبة بينه وبين أقاربه.

وتتحقق هذه الصلة بعدة وسائل، ومن ذلك أن يختار المربي لطفله الوقت المناسب لزيارات الأقارب، وخصوصاً الجدّ والجدّة والعم، والعمَّة، ويحاول أن يشوق الطفل لذلك ويذكره بفضل هذه الزيارات، وما لها من الأجر العظيم عند الله ﷻ وكبير الأثر عند الأقرباء.

ويجب على المربي ألا يجبر طفله على زيارات الأقارب إجباراً فيه قسوة لأن من عادة الطفل الملل من مثل هذه الزيارات، ولكن يرغبهم ويكافئهم على الزيارة وصلة الرحم بما يراه مناسباً لميولهم، وكذلك يعمل المربي على تنظيم هذه الزيارات تنظيماً يتناسب مع ظروفه وظروف الآخرين، كأن يحدد أوقات الاجتماع وأماكن اللقاء ليتعارف أطفال الأسر على بعضهم البعض ويقضون مع بعضهم أوقات ممتعة.

---

(١) انظر: فقه التعامل مع الناس ص٢٦٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (١١٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم (١٨).

ومن الجدير بالذكر عدم قصر الزيارات على صلة الرحم بين الأقارب بل إن استطاع المربي أن يساعد الأقارب بمال أو هدية أمام طفله فليفعل؛ لتكون صلة الرحم أعم وأشمل من الزيارات فتتحقق الفائدة وبالتالي يشب الناشئ على مكارم الأخلاق والبر بالأقرباء، ومساعدة من هم بحاجة إلى المساعدة وبذلك يحصل النفع الكبير من تدريب الناشئ على صلة الرحم والتخلق بالأخلاق الحسنة معهم(١).

٤ ـ أخلاق الناشئة مع الجار:

يعتبر الجار من أقرب الناس إلى الإنسان، وأكثر معرفة بأحواله بعد أهله وقرابته هم جيرانه فحق الجار عظيم والقيام بحقه من أوجب الواجبات، ومن أكبر أسباب التكامل والتعاون في هذه الحياة، ومن أكبر أسباب الإعانة على البر والخير، والحماية من الإثم والشر(٢).

وينبغي على المربي بيان هذا الحق للناشئة الذي أمر الله ﷻ القيام به في كتابه العزيز: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [النساء: ٣٦].

فالله ﷻ يأمر في هذه الآية الكريمة بعبادته وينهى عن الشرك به ثم يوصي بالوالدين بأن يُحسن صحبتهما، وكذلك الأقرباء واليتامى والفقراء، ومع هؤلاء الجار القريب والجار البعيد، وقد أمر الرسول ﷺ أيضاً بحسن معاملة الجار، فقال عليه السلام: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(٣).

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم ص٢٢٢ ـ ٢٢٤.
(٢) انظر: فقه التعامل مع الناس ص٢٩٩.
(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، رقم الحديث (٦٠١٤).

وقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»، وفي رواية: «**فليحسن إلى جاره**»(١).

فهذه النصوص تأمر بإكرام الجار والإحسان إليه وتنهى عن إيذائه والالتزام بطيب المعاملة له، فمن لم يكرم جاره لم يتم إيمانه.

فمن الأخلاق التي ينبغي على الناشئة التخلق بها مع الجار الإحسان إليه وعدم إيذائه فهو أقل ما يجب على الجار تجاه جاره، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

ولهذا قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»(٢).

فيؤدَّب الناشئة على تجنب الأذى للجيران بأي نوع من أنواع الأذية من التنصت عليهم أو التجسس على أحوالهم وكشف أسرارهم، وتتبع عوراتهم، وكشف أسرارهم، وإصدار الأصوات واللعب بشكل مزعج في أوقات النوم والراحة(٣).

فالود للجار وإماطة الأذى عنه والاهتمام براحته يزيد من المحبة بين الجيران ومن صفاء القلوب.

وينبغي على المربي أن يرغب الناشئة في حسن الأخلاق مع الجار

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله فلا يؤذي جاره، رقم الحديث (٦٠١٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف...، رقم الحديث (٤٧) (٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله فلا يؤذ جاره، رقم الحديث (٦٠١٨)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم الحديث (٤٧).

(٣) انظر: فقه التعامل مع الناس ص٣٠٩.

بما يحصل لهم من الخير عند الله عندما يكون من خيار الناس لجيرانه ويشرح لهم حديث رسول الله ﷺ الذي يبيّن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»(١).

وأيضاً توجيه الناشئة إلى كيفية حسن الأخلاق مع أولاد الجيران عند اللعب معهم، والسير سوياً وآداب التحدث معهم مجانباً السبَّ والشتم واللعن وغيرها، وأن يتعلم الناشئ كيف يراعي شعور أبناء الجيران، فلا يزهو ويتفاخر بلباسه وطعامه وخاصة إذا كانوا فقراء حتى لا يشعرون بما يسبب لهم الحزن، بل على الناشئ محبتهم ومصاحبتهم بالخير والبر بهم، وبهذه التوجيهات يستطيع المربي تربية الناشئة على تطبيق الأخلاق الحسنة مع الجار(٢).

❐ ثانياً: الأساليب القرآنية لتربية الناشئة في مجال الأخلاق:

سلك القرآن الكريم العديد من الأساليب التربوية في توجيه الناشئة إلى اكتساب الأخلاق الحميدة، **ومن هذه الأساليب ما يلي:**

أ- الأمر بمكارم الأخلاق:

إن المتأمل في الآيات القرآنية يجد أن الله ﷻ في حثه للالتزام بالأخلاق الحسنة كان يتضمن هذا الحث صيغة الأمر ومن هذا الآيات.

وقال في الحث على التوكل: وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم الحديث (١٩٤٤). قال الترمذي: حسن غريب. قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ص٤٤٣.

(٢) انظر: تربية الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة ٢/ ٦١٤.

وقال تعالى في الحث على الاستقامة: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود].

وقوله تعالى في الحث على الاعتدال في الأكل والشرب: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف].

وفي الحث عن العدل ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

وفي الحث على خُلق الصبر قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود]. وقوله تعالى في الحث على التواضع: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقوله ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]. وقوله تعالى في الحث على الإحسان: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]. وقوله تعالى في الحث على العفو قوله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فكل هذه الآيات المتقدمة تضمَّنت أوامر إلٰهية جاءت مصنفة الأمر وهي جميعها تأمر بالتحلِّي بمكارم الأخلاق، وغيرها كثير جدّاً في الكتاب العزيز.

ب ـ النهي عن سيّئ الأخلاق:

قال تعالى في النهي عن السخرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

وقال تعالى في النهي عن الكبر: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ

فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

قال تعالى في النهي عن النظرة والتطلع إلى ما لدى الآخر من متـع: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر]. وقال تعالى في النهي عن التبذير: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

قال تعالى في النهي عن الإسراف: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]. وقال تعالى في الاعتدال في خفض الصوت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

فكل هذه النواهي إنما جاءت لتنهي عن سوء الأخلاق. ولسوء الأخلاق صور كثيرة يحفل بها الذكر الحكيم ناهياً عن الوقوع فيه.

ج ـ القدوة الحسنة:

ضرب الله لنا أمثلة عديدة لبعض أنبيائه الكرام الذين تخلَّقوا بالأخلاق الفاضلة فكانوا قدوة حسنة ونموذجاً يقتدى به، فتجد في كل خُلق ضرب الله لنا أمثلة من أخلاق أنبيائه عليهم السلام.

فخُلق التوكل ذكر لنا سبحانه بعضاً من أنبياء تخلَّق به، وذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام يحث قومه على التوكل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس].

وقوله عن نوح عليه السلام: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس].

وقوله عن هود عليه السلام: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٥٦].

وفي خُلق الصدق قال تعالى واصفاً إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم]، وقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٥٦﴾ [مريم]، وقوله عن إدريس: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٥٦﴾ [مريم].

وفي الحث على خلق الأمانة فهذا نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧﴾ [الشعراء]، وكذلك قال كل من هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الشعراء: ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨].

وأشار الكتاب العزيز إلى أمانة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ [يوسف].

وفي خلق الصبر ضرب الله لنا مثلاً في أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى عن إسماعيل وإدريس وذي الكفل وأنهم جميعاً قد تحلّوا بالصّبر: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾ [الأنبياء].

د ـ الترغيب في اتباع الخُلق القويم:

قال تعالى في الحث على شكره وأنه سبيلٌ لزيادة النعمة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]. وفي الحث على رجاء الله وعدم البأس قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف].

وقال تعالى في الحث على التخلق بالصدق: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ [الزمر].

وقال تعالى في الترغيب في عفة اللسان قوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وفي الترغيب في القسط، العدل قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقوله تعالى في الترغيب في العفو وكظم الغيظ قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران]. وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

هـ ـ الوعظ والإرشاد:

وجاءت الموعظة في وصية لقمان لابنه في التخلق ببعض الأخلاق والابتعاد عن سيئها.

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

و ـ القصة القرآنية:

وذلك من خلال قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه وما فيها من قيم أخلاقية تمثلت في حسن التوكل على الله، وعدم اليأس من كرم الله في العثور على يوسف عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف].

وقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ

ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

وعن خلق العفة ما جاء في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز فقال سبحانه: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

ز ـ التفصيل والبيان:

قال تعالى في بيان الاعتدال في الإنفاق: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

وقال في الاعتدال في الأكل والشرب: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال في الحث على أن يكون الدعاء بين الجهر والمخافتة: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهذه من الأساليب الرائعة التي تجسّد المعاني من خلال التفصيل تارة والتصوير البياني المعجز تارة أخرى.

وقال تعالى في الحث على الإنفاق على الأيتام: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ح ـ مدح الحسن وذم القبيح من الأخلاق:

مدح الله تعالى من يرجون رحمة ربهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله تعالى مادحاً إبراهيم عليه السلام في صدقه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم]، وقوله عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم].

ومدح الله سبحانه وتعالى المتعففين عن المسألة: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ومدح الله تعالى المتواضعين من عباده ومن صفاتهم القصد في المشي والتلطف في القول، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

ومدح الله تعالى العافين عن الناس بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

أما الذم، قوله تعالى في ذم المبذرين: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى في ذم وتقبيح الصوت الزائد في الارتفاع: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. وقد ذم الله تعالى الذي لا يكرم اليتيم والذي يُسيءُ إليه قال عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون].

❁ ❁ ❁

المبحث الثامن
عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة وأساليبه في ضوء القرآن الكريم

❐ أولاً: عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة في ضوء القرآن الكريم:

أولاً: تأديب الناشئة بآداب السلام في القرآن الكريم:

أهمية السلام وبيان فضله:

«إن السلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين... وبذل السلام للعالم، والسلام على من عرفت ومن لم تعرف... وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع، والتهاجر، والشحناء، وفساد ذات البين»[(١)].

وقد أمر الله ﷻ إفشاء السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال ابن كثير[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم»[(٣)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ٢/ ٣٦.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١١٩.

وقال سبحانه أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ﴾ [النور: ٢٧].

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأثر الطيب الذي تتركه التحية على علاقة الناس بعضهم ببعض فقال عليه السلام: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

فالمعنى أفشوا السلام بينكم تسلموا من الفرقة والتقاطع وتعيشوا في مودة وتجتمع قلوبكم على الخير وتزول الأحقاد والبغضاء، فأخبر المصطفى ﷺ أن السلام يبعث على التحابب بين الناس ويبعد عنهم التقاطع.

والسلام: اسم من أسمائه تعالى، وهو التسليم والتحية عند المسلمين والسلامة والبراءة من العيوب والأمان والصلح، وقيل معناه: سلامته مما يلْحق الخلق من العيب والفناء، والسلام في الأصل السلامة، يقال: سلم يسلم سلامة وسلاماً، ومنه قيل للجنة: دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات(٢) كما قال عز وجل: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام]. قال القرطبي(٣) رحمه الله: «التحية السلام، وأصل التحية الدعاء بالحياة، والتحيات لله؛ أي: السلام من الآفات»(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ص٤٤١، ولسان العرب ٧/ ٢٤١، والمصباح المنير ١/ ٣٠٧، والمعجم الوسيط ١/ ٤٤٦.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة، قال عنه الذهبي: إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، منها: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة وغيرها، توفي سنة (٦٧١هـ).
انظر: طبقات المفسرين، للداودي ص٣٤٧، والأعلام ٥/ ٣٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٨٣.

وقيل السلام: «تجرد النفس عن المحنة في الدارين»[(١)].

فالسلام هو التحية التي يحيِّي بها المسلمون بعضهم بعضاً كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وقوله سبحانه: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

ومن آداب السلام التي ينبغي على الناشئة التأدب بها:

١ ـ إلقاء الناشئ السلام قبل دخول بيوت الآخرين:

وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، «فالناشئ عندما يريد دخول بيوت الآخرين فإن عليه السلام على الساكنين فيها فلا ينبغي الدخول فيها فجأة وبدون صوت بل يلزم في الخطوة الأولى إلفات صاحب الدار بدخوله بلين وهدوء وإقامة علاقة أنس معه كي لا يستوحش ولا يضطرب ولا يظن به سوءاً ولا يبدي رد فعل غير مناسب وعند إلقائه السلام فإنه يشعر بطمأنينة من جانبه»[(٢)].

فيؤدب الناشئ على ضرورة إلقاء السلام بقوله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويبين له بأن هذا هو الأفضل.

٢ ـ سلام الناشئ على أهل بيته وعلى نفسه:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

يقول الشيخ السعدي[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «نكرة في سياق

---

(١) التعريفات ص١٢٠.

(٢) انظر: الأخلاق في القرآن الكريم، محمد تقي اليزدي ١/ ٢٤٨.

(٣) سبقت الترجمة له.

الشرط يشمل بيت الإنسان وبيت غيره، سواء أكان في البيت ساكن أم لا، فإذا دخلها فليسلم بعضكم على بعض، وسلامكم بقولكم: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١).

فالإنسان يسلم على أهل بيته إذا دخل عليهم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**»(٢).

وإذا كان البيت خالياً من السكان يسلم على نفسه بقوله: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**».

٣ ـ رد الناشئ السلام:

وذلك عملاً بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

فالله ﷻ يأمر عباده المؤمنين: «إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشة أو مثلها في ذلك»(٣).

وإذا كان الإسلام قد آثر كلمة السلام لما شع منها من المعاني الطيبة فإنه مع هذا يتقبل أي تحية طيبة يتبادلها الناس، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] غير مقيد التحية بقيد مخصوص أو مختص بصورة معينة ليتيح للناس فسحة في تبادل التحايا المختلفة التي تغذي عواطف الإخوة والمودة بينهم، وإن كان المقصود من هذه التحايا هو الأثر المترتب عليها، وإن كانت كلمة السلام هي تحية الإسلام وبشارة المسلمين(٤).

---

(١) تفسير السعدي ص٥٧٥، ٥٧٦.
(٢) سبق تخريج الحديث.
(٣) تفسير السعدي ص١٩١.
(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٢/ ٨٥٣.

٤ ـ أن يبدأ الصغير بالسلام على الكبير لأجل حقه عليه:

وأن يسلّم القليل على الكثير لأجل حق الكثير؛ لقوله ﷺ: «**يسلم الصغير على الكبير، والمارّ على القاعد، والقليل على الكثير**»(١)، وكذلك يسلم الكبير على الصغير لغاية تعليمية، فقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك إذا مر بالصبيان(٢)، «وهذا من خُلقه العظيم، وفيه تدريب للصغير وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على الآداب الإسلامية»(٣).

ومن آداب السلام التي تورث المحبة وتزيد من الألفة:

المصافحة عند اللقاء(٤) مع إظهار التبسم وبشاشة وطلاقة الوجه ويرغب الناشئ في ذلك لما يحصل له من الأجر عند قيامه بهذا العمل الطيب وتدعيم ذلك بقول النبي ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا**»(٥).

❐ ثانياً: تأديب الناشئة بآداب الاستئذان في القرآن الكريم:

١ ـ تعريف الاستئذان:

أورد علماء اللغة للإذن استعمالات شتى يهمنا منها هنا قولهم:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير، رقم الحديث (٦٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، رقم الحديث (٦٢٤٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٨٨ بتصرف.

(٤) قال ابن حجر في «فتح الباري»: «المصافحة: مفاعلة من الصفحة، والمراد بها الإفضاء بصفحة اليد إلى صفحة اليد ٧/ ٣٣٢.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الآداب، باب في المصافحة، رقم الحديث (٥٢١٢)، والترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، رقم الحديث (٢٧٢٧). وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب.
قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن أبي داود ص٧٨٠، وسنن الترمذي ص٦١٣.

أذِن له في الشيء إذناً: أباحَهُ[١]، والاستئناس والاستئذان يجتمعان في معنى واحد وهو الاستعلام[٢].

«والاستئذان: طلب الإذن»[٣].

الاستئذان في الاصطلاح: «التماس الإذن تأدباً خشية الاطلاع على عورة أو الوقوع في محظور»[٤].

ـ أهمية الاستئذان وأثره:

إن الاستئذان من الأدب الاجتماعي، وقد أمرنا الله أن نتخلق به في حياتنا الاجتماعية وهو: طلب الإذن ممن نود زيارته حتى لا يفاجأ بزيارتنا له في وقت قد يكون منشغلاً فيه بواجبات أخرى، أو قد يكون في وضع لا يريد أن يراه عليه أحد، لذا فمن أهمية الاستئذان أن الله تبارك وتعالى قرن الاستئذان بالإيمان في مواضع كثيرة من كتابة العزيز[٥].

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ [النور].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ [النور: ٥٨]. «ولذا فمن الأدب واللباقة الاجتماعية أن يُستأذن قبل الدخول من يراد الدخول عليه مراعاة لحرمة

---

(١) انظر: لسان العرب (أذن) ١/ ٧٨.

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ١٣٤٦، ١٣٤٧، روح المعاني ١٨/ ١٩٧، وزاد المسير ٦/ ٢٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٤.

(٤) أدب الاستئذان، د. عبد الرب تواب الدين ص١٨ بتصرف.

(٥) انظر: أدب المسلم في العادات والعبادات والمعاملات، محمد سعيد مبيض ص٣٩، وأدب الاستئذان ص١١.